مدى رسوخ مهدوية بن تومرت في مختلف طبقات المجتمع الموحدي

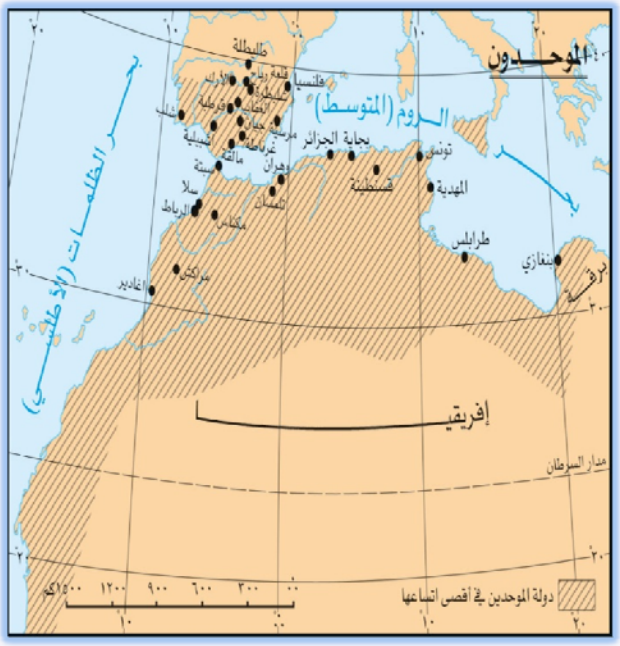

واعظ نويوة
أستاذ تاريخ المغرب الإسلامي
جامعة الوادي
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
fallusa8161@gmail.com

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
واعظ نويوة ، مدى رسوخ مهدوية بن تومرت في مختلف طبقات المجتمع الموحدي.- دورية كان التاريخية.- العدد الحادي عشر ؛ مارس ٢٠١١. ص ٣٩ – ٤٣.
(www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

لقد ظلت نظرية مهدوية ابن تومرت[١] العماد الأساسي لدولة الموحدية ، عليها تأسست وفي سبيل الدعوة إليها حارب الموحدون الدول والقبائل التي رفضت الخضوع لسلطانهم حتى سيطروا في النهاية على كل المغرب والأندلس ، ولكن سؤال يطرح نفسه بإلحاح وهو هل صاحب توسع الموحدين السياسي إيمان الناس الفعلي بابن تومرت ؟ بمعنى هل آمنت مختلف فئات المجتمع التي دخلت في طاعة الموحدين بمهدوية بن تومرت ؟ أم أن الناس أطاعوا الموحدين على خوف من بطشهم ولكنهم لم يؤمنوا بعقيدتهم ؟

مدى إيمان الخلفاء الموحدين

كان عبد المؤمن بن علي[٢] من الذين آمنوا بالمهدي بن تومرت في "ساعة العسرة" حينما اشتدى على الموحدين أذى المرابطين ومن ورائهم الناس ؛ الذين رموا المهدي بن تومرت بالابتداع فلم يجد الموحدون من ملجئ يحتمون به سوى قرية تنملل النائية في جبال الأطلس ، ثم إنه كان من الذين شهدوا معركة البحيرة[٣] سنة ٥٢٤هـ التي هزم فيها الموحدون هزيمة نكراء حتى أن النكبة هدت ابن تومرت وتوفي على إثرها ، ثم إنه أيضا كان خليفته في حكم الموحدين-بوصية منه-ومن الناحية التاريخية يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية ، فعلى هذا ينبغي تكون العقيدة الموحدية راسخة في أعماق قلب عبد المؤمن[٤].

لكن من ناحية أخرى نجد أن أبسط الناس أسذجهم لن يجد صعوبة كبيرة في اكتشاف زيف دعوى ابن تومرت ، كدعوى شرف النسب والمهدوية (الذين درج عليهما الدجالون كثيرا في التاريخ الإسلامي) فزيادة على أصوله الأمازيغية الواضحة والمعروفة ، وقريته الواقعة في عمق جبال السوس ، لا أظن أن نسبا بهذا القدر من الرفعة سيخفى على قبائل الامازيغ ، ولو كان هذا صحيحا لأعظم الناس عمله من أول يوم بدأ فيه حملة الأمر المعروف والنهي عن المنكر ، ولو كان هذا صحيحا لما اضطر ابن تومرت للاحتيال بالتدرج من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الحديث عن المهدي إلى الادعاء المهدوية ، فهذه كلها دلائل بينه على زيف الدعواه[٥].

لكن يحتمل أن عبد المؤمن وجد في هذه الدعوى سبيل لتحقيق أمانية في الوصول للحكم. فقد وصفه المراكشي بأنه «كان سري المهمة ، نزيه النفس ، شديد الملوكية ، وكأنه ورثها كابرا عن كابر لا يرضى إلا بمعالي الأمور»[٦] مما يدلنا على نفس تواقة للحكم منذ الصغر. ولكنه في نفس الوقت كان ينتمي إلى قبيلة صغيرة في يقال لها كومية[٧] ، وهي قبيلة صغيرة قرب تلمسان[٨] ليست بالتي يعول عليها في ساحات القتال ، وبالتالي فالإيمان بالمهدوية ابن تومرت والقتال تحت رايتها هي السبيل الأمثل للوصول للحكم.

ولا أدل على هذا أنه لم يمضي زمن يسير حتى ظهر من الخلفاء الموحدين من لا يؤمن بهذه المهدوية ، كالذي اشتهر عن حفيده و الخليفة الموحدي الثالث يعقوب المنصور من أنه كان من المكذبين بهذا الأمر ، و يروى المراكشي عن الشيخ صالح أبو العباس المري أن المنصور قال له « إشهد لي أمام الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة »[٩]- يعني عصمة ابن تومرت- ويروي المراكشي أيضا عن الشيخ صالح أنه استأذن المنصور في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام فقال المنصور: يا أبا العباس أين الإمام أين الإمام؟ قال المراكشي ولو أردنا لطال بها هذا

التلخيص[١٠] يريد أن هناك الكثير من الروايات الأخرى التي تدل على تكذيب المنصور بهذه الفكرة ، فظهور من يكذب بمهدوية ابن تومرت بهذه السرعة عند الخلفاء الموحدين أنفسهم يدل على أن الفكرة في الأساس لم تكن بتلك الرسوخ. لكن المنصور أدرك ببعد نظره أن الجهر بهذا الرأي سوف لن يؤدي إلا لتقويض ملكه واستغلال الطامعين في الحكم لذلك في تأليب الناس و للانقلاب عليه فاكتف بالبوح بما يختلج في صدره لمن يثق فيهم.

ثم جاء فيما بعد الخليفة المأمون الذي امتلك الجرأة فجهر بردته عن العقيدة الموحدية على رؤوس الأشهاد ، إذ يروي صاحب روض القرطاس أنه بعد أن دخل مراكش وبايعه الناس صعد إلى المنبر بجامع المنصور وخطب الناس ولعن المهدي وقال «يا أيها الناس لا تدعوه بالمعصوم وادعوه بالغوي المذموم إنه لا مهدي إلا عيسى وإنا قد نبذنا أمره النحيس»[١١] ثم إنه كتب بيده رسالة إلى كل أنحاء الدولة الموحدية جاء فيها« ... ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لا مهدي إلا عيسى... وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له العصمة... وإذا كانت العصمة لم تثبت للعلماء والصحابة ، فما الظن بمن لا يدري بأي يأخذ كتابه ؟[١٢]... اللهم اشهد بأننا تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار ونعوذ بك من فعلهم الرثيث ، وأمرهم الخبيث ، "إنهم في المعتقد من الكفار" وإنا فيهم كما قال نبيكم عليه السلام " رب لا تذر من الكافرين ديارا" والسلام على من اتبع الهدى واستقام» كما أمر أيضا بقطع الدعاء للمهدي و بمحو إسمه من المخاطبات ومن النقش وفي السكة وقطع النداء بعد الصلاة والنداء عليها بالتاصليت الإسلام ، وهي إقامة الصلاة باللسان البربري ، وكذلك سؤدود وناردي وأصبح ولله الحمد وما أشبه ذلك مما كان به العمل من أول دولة الموحدين[١٣]

وبعد وفاة المأمون لم يحاول الخلفاء الموحدون إعادة إحياء رسوم المهدي ، مما يدل على أن الكل كان يقر ضمننا بزيف هذه الفكرة اللهم ما عرف عن الرشيد[١٤] الذي حاول إحياء رسوم المهدي ، لا عن قناعة وإيمان ، غير أنه تولى الحكم في فترة عصيبة كثر فيها الخارجون على الدولة من كل مكان ، وكانت شيوخ قبائل المصامدة ، الذين قامت دولة الموحدين على أكتافهم[١٥] ،قد رجعوا إلى قراهم في جبال الأطلس ، بعد قام المأمون بما ذكرنا ، فسعى الرشيد لاستمالتهم إليه بإحياء رسوم المهدي ليشد بهم أزره ضد أعدائه والخارجين عليه.

العلماء والفقهاء

لقد كان الفقهاء في الدولة الموحدية من أكثر الطوائف المعارضة لفكرة مهدوية ابن تومرت ، بل لم يترددوا في المشاركة في ثورات أو حتى تزعمها في تشنيع صارخ منهم لهذه الفكرة ، ولعل من أشهرهم فقيه المغرب المشهور القاضي عياض[١٦] فعندما ظهر أمر الموحدين بادر إلى الدخول في طاعتهم وسار إلى لقاء عبد المؤمن بن علي في سلا[١٧] في أواخر سنة ٥٤٠هـ فأكرمه عبد المؤمن وأجزل صلته ، بيد أنه ولأسباب غير واضحة تغير فجأة ضد الموحدين ولم يلبث أن حرض أهل مدينة سبته[١٨] على الخروج فثاروا بواليها الموحدي يوسف بن مخلوف التنملي "**وقتلوه ومن معه من الموحدين**" ثم عبر البحر إلى الأندلس ولقي يحيى بن غانية المسوفي والي الأندلس المرابطي و بايعه. غير أن عبد المؤمن تدارك الأمر و أرسل لأهل سبته والقاضي عياض قوة ضخمة ، فلما علم القاضي عياض بقدومهم تلطف في الاعتذار و بعث إلى القائد الموحدي بيعته وبيعة أهل سبته. فعفوا عنه وملكوا البلد ، ولقي القاضي عياض من القائد الموحدي يصلاسن بن المعز كل عطف وإكرام ،[١٩] لكن عبد المؤمن طلب من القاضي عياض الإقامة بمراكش ، فصدع بالأمر وسار إلى مراكش وهناك توفي بعد قليل في جمادى سنة ٥٤٤هـ[٢٠].

ولا تحدثنا المصادر التي وقعت بين أيدينا عن سبب هذه ثورة من القاضي عياض ، لكن من شبه المؤكد أن السبب الرئيسي هو نظرية مهدوية ابن تومرت التي كان الفقيه يرى فيها بدعة محدثة في الدين ، ولا أدل على ذلك من محاولة اتصاله بالوالي المرابطي في الأندلس ، لأن المرابطين كانوا مالكية شديد التمسك بالمذهب ولا يؤمنون بالطبع بدعوى ابن تومرت ، كما أن تحريض القاضي عياض الناس الذي أدى للفتك بالوالي الموحدي ومن معه من الموحدين ، يدل على عظم استنكار القاضي لهذه الفكرة ، لأنه من المعروف في الفقه أن القتل لا يوقع بمؤمن بسبب فكره إلا إن كان متعارض مع الإسلام ككل (الردة)[٢١].

ومن الفقهاء الذين ثاروا ضد الموحدين أيضا أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الاشبيلي[٢٢] ، الذي كان يستوطن بجاية[٢٣] وكان الموحدون قد عرضوا عليه القضاء فأبى فلما غزا بنو غانية ،[٢٤] بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين ، في ٦ من شهر شعبان ٥٨٠هـ /١٣ نوفمبر ١١٨٤م[٢٥] سارع لتأييدهم و تولي القضاء لهم ، فحنق عليه الموحدون وراموا سفك دمه ، فعصم الله دمه وتوفي حتف أنفه قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية[٢٦].

وكذلك أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة ، وكان قاضيا في نواحي بجاية وكان متقدما في العربية والأدب ، فلما غزا بنو غانية بجاية امتدحهم وأنشد بين أيديهم ؛ بل إنه كان خطيبهم يوم الجمعة فخطب وقال "الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه" فلما استعاد الموحدون بجاية قبضوا عليه وسجنوه ثم عفو عنه بعد مدة[٢٧] وإجمالاً فالفقهاء لم يكون بذلك الود مع الدولة الموحدية بسبب هذه الفكرة (مهدوية بن تومرت) وبسبب نفور الموحدين من المذهب المالكي ، مذهب غالبية الناس فقهاء وعامة[٢٨].

العامة ومهدوية ابن تومرت

من خلال ما سبق يمكننا أن نستنتج أن الحفاظ على السلطان كان الدافع الأساسي للخلفاء الموحدين للتصديق بالمهدي ، وفقه الفقهاء هو الذي الباعث على التكذيب بالمهدي. أما العامة فتحكم آرائها اتجاه هذه الفكرة عدة عوامل من أهمها:

- رأي الفقهاء ؛ لتأثيرهم الروحي الكبير على الناس ، ولأن هذه المسألة دينية بالدرجة الأولى.
- رابطة العصبية وانتماء الشخص إلى قبائل المصامدة التي ينتمي إليها المهدي بن تومرت ، والتي عرف عنها أنها أول القبائل التي آمنت ببن تومرت وأن الدولة الموحدية قامت على أكتافها
- وأهم من ذلك كله الطريقة التي اعتمدها الموحدون في إقناع الناس بهذه الفكرة ، أو بمعنى آخر هل كان الناس مخيرين في الإيمان بمهدوية ابن تومرت أم مكرهين ؟

في الحقيقة إذا رجعنا إلى تاريخ الدولة الموحدية نجد أن تأسيسها اقترن بسفك مروع للدماء ومبالغ فيه إلى أقصى درجة ، فمن أعلام الشريعة أن أي إنسان مخير بين اعتناقه للإسلام أو دفع الجزية ثم بعد ذلك القتال ، غير أن ابن تومرت منذ أن جهر بدعواه كفّر كل من لا يؤمن بمهدويته واستحل دمائهم وأموالهم ، فسن بذلك سنة لأتباعه

من بعده عضواً عليها بنواجذ ، فعندما حاصر عبد المؤمن مراكش عاصمة المرابطين ، الحصار الذي أسقط فيه دولتهم ، كانت مراكش تعج بمختلف القبائل المرابطية ، فطال الحصار أكثر من تسعة أشهر ، ونفذت أطعمة المرابطين حتى أكلوا دوابهم ومات نحو مئة وعشرون ألف من الجوع[٢٩] ، وعندما تمكن الموحدون من اقتحام المدينة أعملوا السيف في كل من وجدوه فيها[٣٠] حتى بلغ عدد القتلى من المرابطين نيف وسبعين ألفا ، وقتل الموحدون كل أمراء المرابطين ، ومن بينهم أميرهم إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ولم يشفع له عندهم صغر سنه ولا توسلاته واسترحاماته ، أما أميرات المرابطين فقد بيعت إماء في الأسواق[٣١] ، ناهيك بما فعلوه في المدن المرابطية الأخرى قبلا ، فمع أن هذه الأرقام قد تحوي الكثير من المبالغة لكن هذه المبالغة لم تأتي من فراغ.

وفيما بعد حينما تمكن عبد المؤمن من السيطرة على كل المغرب الأقصى وبدا كأنما قد خلص له (مما يعني عمليا أن كل الناس آمنت بمهدوية ابن تومرت) لكن الأحداث أثبتت عكس هذا ، حينا ظهر شخص يقال له الماسي في شوال ٥٤١هـ وحاول أن يعيد كرة ابن تومرت جذعه ، فادعى بدوره المهدوية وتلقب بالهادي ، فانضمت إليه العديد من القبائل-التي كانت قد آمنت بابن تومرت قبلا-كحاحه ورجراجة وزهميرة وهسكورة ودكالة ، حتى لم يبقى على طاعة عبد المؤمن في جنوب المغرب وسطه سوى فاس ومراكش فأرسل عبد المؤمن حملة لقمع الخارجين لكن الماسي نكل بهم ، فأعد له عبد المؤمن حملة مختارة ضمنها خيرة رجاله بل و المرتزقة النصارى أيضا وجعل عليها أقرب المقربين إليه وهو أبو حفص الهنتاتي الذي تمكن من هزيمته الماسي وقتله في ذي الحجة من نفس السنة[٣٢]

وفي سنة ٥٤٤هـ سجل التاريخ الإسلامي صفحة دموية من أفضع ما ارتكبه الموحدون في تاريخهم أو ما يسميه الموحدون بالاعتراف ، ذلك أن عبد المؤمن بن علي لما رأى كثرة من خرجوا عليه عقد للموحدين مجلسا وسلمهم جرائد فيها أسماء من سماهم "أهل التخليط" ، أو بمعنى آخر المرتاب في ولائهم له ، وأمرهم بإعمال السيف في كل من ورد اسمه في تلك الجرائد ، وهكذا قتل من قبيلة هزميرة خمسمائة ومن رجراجة ثمانمائة ومن حاحة ثمانمائة وأعدم من أهل السوس ستمائة ومن أهل انجيست ستمائة ومن أهل تادلة خمسمائة وقتل من صنهاجة وجراوة ألف في موضع يسمى العمري وقتل من زناته نحو سته آلاف وقتل من صاربو وبني ماكود اثنا عشر ألف وقتل من غمارة في تاطوين ثمانمائة وقتل في مكناسة مائتين وفي فاس ثمانين ومن أهل برغواطة ستمائة ومن هيلانة ثمانمئه ومن وريكة وهزرجة مائتين وخمسين ومن لجاعة مائه وخمسين ومن درعة ستمائة.[٣٣] فعلى الرغم من ضخامة هذه الأرقام غير أننا إذا علمنا أن راويها هو مؤرخ الموحدين المعروف بالبيدق أضفى ذلك عليها طابع الصحة إلى حد كبير. وليس هذا كل شيء بل إن البيدق بعد إيراده لهذه الرواية يقول «... وتم الاعتراف بحمد الله فهدأ الله البلاد للموحدين وأعانهم على الحق ونصرهم وأقاموا الدين ولم يتفرقوا فيه وتمهدت الدنيا وأزال الله ما كان من تخليط.»

فنرى هنا أن المجازر الدموية والتي تجتهد الدول عادة في إخفائها وتبريرها أضحت عند الموحدين شيأ عاديا يكادون يفتخرون به حتى أن ابن الأثير انتقد عبد المؤمن على هذا المسلك وقال«انه كان شديد السفك للدماء المسلمين ولو على الذنب الصغير»[٣٤] كما يظهر هنا بجلا أن المعارك تدور حول الخضوع والسيطرة ولا مكان مطلقا للدعوة بالحسنى والذي على أساسه يمكن أن نتوقع إيمان الناس بابن تومرت.

فإذا أضفنا لهذا العامل ، الفقهاء ودورهم في تحريض الناس على التكذيب بابن تومرت ، وأن غالبية سكان المغرب والأندلس لا ترتبط برابطة النسب مع ابن تومرت علمنا أن خشية الناس من بطش الموحدين هي فقط ما أجبر الناس على التظاهر بالتصديق بمهدوية ابن تومرت وليس القناعة التي محلها القلب.

لذا نجد أنه عبر التاريخ الموحدي لم نجد العامة بتلك الغيرة على هذه الفكرة ، فعندما غزا بنو غانية[٣٥] بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين - والذين لا يؤمنون بالطبع بابن تومرت- بجاية انظم إليهم العديد العامة[٣٦] ، كذلك لما صدع المأمون بنكرانه للمهدي لم يحدثنا المؤرخون عن هَبّه من العامه لما يفترض أنه مقدس عندهم بل إن ابن عذارى يحدثنا أن الشعراء مدحوا المأمون بما "يتنسم ندا ومسكا وتجعله يعقد نحرك سلكا".

فمن ذلك من قول الكاتب الأجل أبو الحسن الرعيبني قصيدة مطلعها

تتيه بك الدنيا و يزهو بك الملك ... ويعزى إليك الفضل والدين

إلى أن يقول

وما ذاك إلا أن سبقت وقصروا ... و أدلجت إذا باتوا وحققت "إذا شكوا"

أنال بك الإسلام أقصى مراده ... وقد سعد التوحيد إذ "شقي الشرك"

وقال محمد بن إبراهيم بن الذرة أيضا:

ألا وضح التحقيق وارتفع الشك ... بأنك مَلك لا يقاس به مَلك

إلى أن يقول

تنيل من الأفراس ما بان عتقه ... وتعطي من الإبريز ما أخلص السبك

فأنتم أمير المؤمنين بعدلكم ... تعزز دين الله وارتفع الشك

قال ابن عذارى وإن أمداحه لكثيرة جدا لا أحصي لها عددا والكفاية منها ذكرته ولاختصار الكتب اختصرته[٣٧] وقد يحمل البعض هذه الأشعار على تملق والطمع في الكسب كما هو دأب الشعراء المعروف ، لكن ورود بعض العبارات كالشك ، شقي ، الشرك ، وتعطي من الإبريز ما خلص السبك ، وكثرت هذه الأشعار وجودتها يدل على أن المأمون عبر بهذا عن ما يتلجلج في نفوس العامة ، كما أن هذا يفسر لنا ما اعتبره الكثير من المؤرخين خطأ فادح ارتكبه المأمون ، فقد كان عصره عصر فتن اشتد فيه الصراع على الحكم بين بني عبد المؤمن مما يجعل من الحكمة البالغة تأجيل الجهر برأيه في ابن تومرت ، لكن يحتمل أن المأمون أراد بعد وصوله للحكم أن يُؤمّن منصبه أكثر بتقرب للعامة ، فلم يجد أحسن من الجهر بالكفر بابن تومرت لما يعمل من الريبة التي تتلجلج في قلوب الناس.

يستثنى من هذا الشك قبائل المصامدة التي ينتمي إليها المهدي ابن تومرت والتي ناصرته من أول وهلة أعلن فيها بمهدويته كما قدمنا ، والباعث على ذلك بالطبع هو العصبية القبلية وليس الإيمان القلبي المبني على القناعة وفحص للأدلة الشرعية ، وهذه النصرة المصمودية أمر لا يتوقع غيره لأن العصبيات القبلية من أهم سمات بلاد المغرب وهي المفتاح الأساسي لفهم أسباب تقلب الدول وتحول الولاءات فيه.

وختاماً يمكننا القول أن غالبية طبقات المجتمع كانت لا تؤمن بمهدوية بن تومرت ، وان هذا شك تجلى في مواضع عدة من بوح كبار حكام الدولة بما يختلج في نفوسهم من الريبة وتزعم كبار الفقهاء للثورات ضد الموحدين ومن عدم اكتراث الناس بإلغاء الاعتراف بمهدويته ، كما أن هذا الأمر يفسر الكثير من منحى الأحداث في الدولة

الموحدية فعندما نقارن الدولة العباسية والدولة الموحدية نجد الخلفاء العباسيين فقدوا أي سلطة فعلية بعد عهد المتوكل لكن ظل الكل يعترف بأنهم هم الخلفاء الشرعيون وحتى من تقوى عليهم من الوزراء والسلاطين لم يسعوا مطلقا لأن يحتلوا منصب الخلافة لأنهم يعلمون أن الناس مقرة بأحقيتهم في الخلافة ويستحيل أن يعترفوا بغيرهم لكن الخلفاء الموحدين اكتسبوا شرعية حكمهم من خلال الدفاع عن الأندلس ولكن بمجرد أن خسروا في معركة حصن العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢ هـ [٣٨] وأصبحوا عاجزين عن الدفاع عنها حتى انهارت قواعد دولتهم وتكالب عليهم الخارجون من كل مكان حتى سقطت على يد بني مرين سنة ٦٦٩هـ وسقطت معها فكرة مهدوية ابن تومرت فلم يبكي عليها أحد في أوضح دليل على عدم إيمان الناس بها.

البيبلوغرافيا

- المصادر

١. أبي جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير اليقفي العاصي الغرناطي صلة الصلة تحقيق عبد السلام العراس الشيخ سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف المملكة المغربية ، ١٩٩٤.
٢. علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس ، دار المنصور لطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣.
٣. أبي القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض طبعة بريل ليدن ١٩٢٨.
٤. أبي عبد الله الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، جزء المغرب والأندلس ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٣.
٥. حلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول ، سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، طبعة دار الرشاد الحديثة ١٣٩٩هـ.
٦. أبو عبيد البكري ، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، طبعة دار المثنى بغداد.
٧. عز الدين أبي الحسن علي بن أبي كرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت لبنان.
٨. ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (القسم الموحدي) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ١٤٠٦هـ.

- المراجع

٩. ليفي بروفنسال الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية مصر ١٩٩٠.
١٠. عبد المجدي رفعت النجار ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي حياته وآثره بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ١٩٨٢.
١١. صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية ، وزارة السياحة ، الجزائر ، ١٩٨٥.
١٢. عبد الله عنان ، دولة المرابطين والموحدين ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ.
١٣. أبو خليل ، الارك ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٨.

الهوامش

١ المهدي بن تومرت: ولد المهدي ابن تومرت في حوالي ٤٧٠هـ في جبال السوس من المغرب الأقصى طلب مبادئ العلم في قريته ثم رحل إلى المشرق للاستزادة وعندما رجع إلى المغرب بدأ أول أمره بحملة ضد انحرافات المجتمع الخلقية ثم لم يلبث أن ادعى المهدوية واعتصم بمنطقة جبلية وعرة (تنملل) واخذ جمعه يكثر وكفر المرابطين واتهمهم بتجسيم في صفات الله واخذ يخوض المعارك ضدهم حتى توفي سنة ٥٢٤هت/١١٢٩م حيث تولى القيادة من بعده تلميذه النجيب عبد المؤمن بن علي الذي تمكن من إسقاط دولة المرابطين وإقامة دولة الموحدين.
اما المهدي المنتظر فهو شخص من آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم يظهر في آخر الزمان ويملئ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وتعد هذه الفكرة من أسس العقيدة عن الشيعة ، بحيث لا يكتمل إيمان الشخص إلا بها ، أما عند السنة فهذه الفكرة متداولة و معروفة ولكن لا تعد من أسس العقيدة كما أن الأحاديث الواردة بشأنها محل خلاف لأنها لم ترد في الصحاح (صحيح البخاري أو صحيح مسلم) انظر عبد المجدي النجار ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي حياته وآثره بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٢.بيروت لبنان ، ص٢١. و ليفي بروفنسال الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٠ الإسكندرية مصر ص ٢٥٥. عبد الله علام ، الدعوة الموحدية بالمغرب ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٦٤.

٢ عبد المؤمن بن علي: ينتمي عبد المؤمن بن علي إلى قبيلة كومية التي تقع أراضيها في تلمسان كان ينوي الذهاب للمشرق لطلب العلم فالتقى في تلمسان بالمهدي ابن تومرت وانظم إلى دعوته وأصبح من اقرب المقربين إليه وبعد وفاته خلفه في الحكم بوصية من المهدي وواصل الحرب حتى اسقط دولة المرابطين ووسع الدولة حتى بلغت في عهده دولة الموحدين كل افريقية والمغرب وأجزاء كبيرة من الأندلس توفي سنة جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ/٢ من يونيو ١١٦٣م ، صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية ، وزارة السياحة ، الجزائر ، ١٩٨٥.

٣ معركة البحيرة: حدثت قرب مراكش بين الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي والمرابطين بقيادة الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين فكانت الدائرة على الموحدين وهزموا هزيمة شنعاء ونجا عبد المؤمن في نفر قليل انظر: عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.١٩٩٨. ص ٩١.

٤ للمزيد حول سيرة عبد المؤمن بن علي و تاريخ نشأة الدولة الموحدية راجع صالح بن قربة ، المرجع السابق ، الأستاذ عبد الله عنان في كتابه دولة المرابطين والموحدين ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ.

٥ وعلى كل الحال فإن نسب ابن تومرت محل جدل بين المؤرخين ولكن الظروف التي ظهر فيها أو بالأحرى الغاية التي خدمها هذا النسب(الوصول إلى الحكم) تضفي عليه شكا كبيرا كما أن ادعاء النسب للوصول للحكم عادة درج عليها الطامعون في الحكم كثير في التاريخ الإسلامي.

٦ نفس المصدر ، ص ٩٥.

٧ قبيلة كومية قال عنها الإدريسي: تمتد مضاربها في تلمسان واليها ينتمي عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية.

٨ تلمسان قال عنها الإدريسي: مدينة أزلية لها صور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينها سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ولحومها شحمية سمينة والجملة حسنة لخص أسعارها. الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ١٥٠.

٩ المراكشي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢.

١٠ المراكشي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢.

١١ أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق كارل بوحن نوربورغ ، اوبسال دار الطباعة المدرسية ١٨٣٣. ص ١٦٧ و ١٦٨.

١٢ المقصود من أي جهة يأتيه كتابه يوم القيامة من اليمين (اهل الجنة) أم من الشمال (اهل النار)

١٣ ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (القسم الموحدي) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ، ١٤٠٦هـ ص٢٨٧

١٤ الرشيد: هو أبو محمد عبد الله الرشيد بويع في مستهل شهر محرم سنة ٦٣٠هـ على الرغم من قوته إلا أن عهده امتاز بالكثير من الثورات والاضطرابات توفي في محرم ٦٣٨ هـ.

١٥ المصامدة: تقع مضارب قبائل المصامدة في ما بين سفوح درن إلى حدود الصحراء من وادي نول وقبائله من تكنه والركائبات وما إليها إلى حدود طاطة وسكتانه وهي منطقة جبلية في اغلبها وكان يسكنها في القرن الخامس قبائل بربرية تنتمي اغلبها إلى قبيلة مصمودة الكثيرة الفروع وقد عرفت تلك القبائل بشدة البأس وقوة الشكيمة مع عصبية مستحكمة وغلب عليهم الجفاء وغلظة الطبع وقلة العشرة. وإليهم ينتمي المهدي ابن تومرت وقد قامت الدولة الموحدية على أكتافهم. عبد المجدي النجار ، المرجع السابق ، ص ٣٧. أبي القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض طبعة بريل ليدن ١٩٢٨. الجزء الأول ص٩٨.

١٦ القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من اعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولد في سبته ولي قضائها ثم قضاء غرناطة وتوفي بمراكش ، من "تصانيفه الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و"الغنية" في ذكر مشيخته و"ترتيب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك" و"شرح صحيح مسلم" و"مشارق الأنوار في الحديث والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" في مصطلح الحديث وكتاب في التاريخ و"الإعلام بحدود قواعد الإسلام" شرح حديث أم زرع ، وجمع المقري سيرته وإخباره في كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض. انظر خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الجزء الرابع ، دار العلم للملايين ، ص ١٠٠. وكذلك أحمد تمام ، القاضي عياض..حافظ المغرب ، إسلام اونلاين:

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-ArabicArtCulture%2FACALayout&cid=1182774555337

١٧ سلا قال عنها الإدريسي: الحديثة على ضفة البحر وكانت في القديم من زمان شاله على ميلين من البحر وموضعها على ضفة نهر أسمير الذي يتصل بمدينة سلا الحديثة وهناك مصبه في البحر. الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ١٤.

١٨ سبته: وهي على ضفة البحر الرومي(البحر المتوسط حاليا) وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط وهي في طرف من الارض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة أبو عبيد البكري ، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، طبعة دار المثنى بغداد ، ص١٠٢.

١٩ الأستاذ عبد الله عنان في كتابه دولة المرابطين والموحدين ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ،١٣٨٣هـ القاهرة. القسم الأول ، ص ٢٧٤. عن مخطوط بالمكتبة الكتانية بخزانة الرباط عنوانه كتاب في التعريف بالقاضي عياض

٢٠ ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢.

٢١ يحتمل أيضا أن الأمور خرجت عن السيطرة وعجز القاضي عن السيطرة على عواطف الاهالي فقتلوا الوالي الموحدي عن غير دراية من القاضي عياض أو على كره منه.

٢٢ هو عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الاشبيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن سعيد بن إبراهيم الازدي الاشبيلي ٥١٤-٥٨٢هـ نشأ بها ثم انتقل إلى لبه ثم رحل عن الأندلس بنية الحج فلم يتيسر له ذلك فأقام في بجاية وبها ألف تواليفه المعروفة منها كتاب الأحكام الكبرى والصغرى وكتاب الرقائق والعاقبة والتجهد. انظر أبي جعفر احمد بن إبراهيم بن الزبير اليقفي العاصي الغرناطي صلة الصلة تحقيق عبد السلام العراس الشيخ سعيد أعراب ، وزارة الأوقاف المملكة المغربية ، ١٩٩٤ ص ٢١٤.

٢٣ بجاية: مدينة على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو وهي في وقتنا هذا عاصمة المغرب الأوسط وأهلها مياسرة تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد. الإدريسي ، المصدر السابق ، ص١١٨.

٢٤ بنوغانية: بنو غانية هم اسرة تنسب إلى أمهم غانية وينتسبون إلى قبيلة مسوفة ، وقد كانت هذه الأسرة من كبار رجالات الدولة المرابطية وعندما سقطت كان احد أفراد هذه الأسرة يحكم الجزائر الشرقية(منروقة ، ميورقة ، ويابسة تسمى حاليا جزر البليار) . وفي سنة ٥٨٠هـ هاجم أبناء هذه الأسرة مدينة بجاية ليكون بذلك بداية الثورة عارمة ضد الدولة الموحدية دامت نحو من خمسين كان من أهم أسباب سقوط الدولة الموحدية. راجع رسالتنا. اثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية.

٢٥ عبد الواحد المراكشي ، نفس المصدر ، ص ١٤٠.علي بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس ، دار المنصور لطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣ ص ٩٥. وفي هذا التاريخ خلاف بين المؤرخين إذ هناك من يري أن الغزو كان في ١٩ صفر ٥٨١هـ/ ٢١ ماي ١١٨٥م ولكن الراجح التاريخ الذي أوردناه راجع كتابنا تأملات في ثورة بني غانية

٢٦ المراكشي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢.

٢٧ أبي العباس احمد بن احمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة في بجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ ، ص٧٧.

٢٨ من أهمها نفرة الموحدين من المذهب المالكي وميلهم للمذهب الظاهري وكذلك بعض الأمور أخرى في مذهب ابن تومرت كإنكاره للصفاة ، راجع عبد المجيد رفعت النجار ، المرجع السابق

٢٩ الحلل الموشية ، ص١٣٧.

٣٠ نفس المصدر ، ١٣٩.

٣١ ابن عذاري ، المصدر السابق ، القسم الموحدي ، ص ٢٨ ، و ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣.

٣٢ ابن عذاري المصدر السابق القسم الموحدي ، ص ٣٠-٣١

٣٣ البيدق " أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين " الرباط, دار المنصور للطباعة والوراقة ,١٩٧١م,

٣٤ ابن الأثير ، المصدر السابق ، الجزء ١١ ، ص ١١٥.

٣٥ بنو غانية: اسرة مرابطية تنتمي الى قبيلة مسوفة وينسبون الى أمهم غانية خاضوا ثورة ضد الدولة الموحدية سنة ٥٨٠هـ في محاولت منهم لإحياء دولة المرابطين دامت نحو من خمسين والحقت خرابا كبيرا بالدولة الموحدية وكانت من أهم أسباب سقوطها راجع رسالتنا اثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية

٣٦ ابن عذاري ، المصدر السابق ، القسم الموحدي ، ص ١٨١. وما بعدها. وابن خلدون ، المصدر السابق ، الجزء ٦ ، ص ٢٨٨.

٣٧ ابن عذاري ، المصدر السابق ، القسم الموحدي ، ص ٢٨٨.

٣٨ معركة حصن العقاب أو كما تسمى باللاتينية لازا نفازا دوتولوزا وهي معركة دارت في الأندلس سنة ٦٠٩هـ بين الدولة الموحدية بقيادة الخليفة الناصر وحلف من الجمهوريات النصرانية خسر المسلمون فيها خسارة عظيمة وفني فيها معظم الجيش الموحدي وكانت قاصمة الظهر بالنسبة للدولة الموحدية حيث بدأ انهيارها منذ تلك المعركة.